المقامة الخامسة

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة أديمها ذو لونين
وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان
ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق
إليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر
فلما روق الليل البهيم ولم يبق إلا التهويم سمعنا من الباب نبأة
مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا   ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا   إلى ذراكم شعثا مغبرا
أخا سفار طال واسبطرا   حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الأفق حين افترا   وقد عرا فناكم معترا
وأمكم دون الأنام طرا   يبغي قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا   يرضى بما احلولى وما أمرا

وينثني عنكم ينث البرا

قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا
فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا
فقال الضيف والذي أحلني ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا لي
ألا تتخذوني كلا ولا تجشموا لأجلي أكلا فرب أكلة هاضت الآكل
وحرمته مآكل وشر الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف
وخصوصا أذى يعتلق بالأجسام ويفضي إلى الأسقام وما قيل في
المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره إلا ليعجل التعشي ويجتنب
أكل الليل الذي يعشي اللهم إلا أن تقد نار الجوع وتحول دون
الهجوع قال فكأنه اطلع على إرادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم
أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر
الغلام ما راج وأذكى بيننا السراج تأملته فإذا هو أبو زيد فقلت
لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فإن يكن أفل قمر الشعرى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)